رؤى

ملف دوري يعنى بشؤون الآداب، والثقافة، والفنون، والعلوم الإنسانية

العدد الثاني عشر - السنة السادسة - رجب - شوال ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

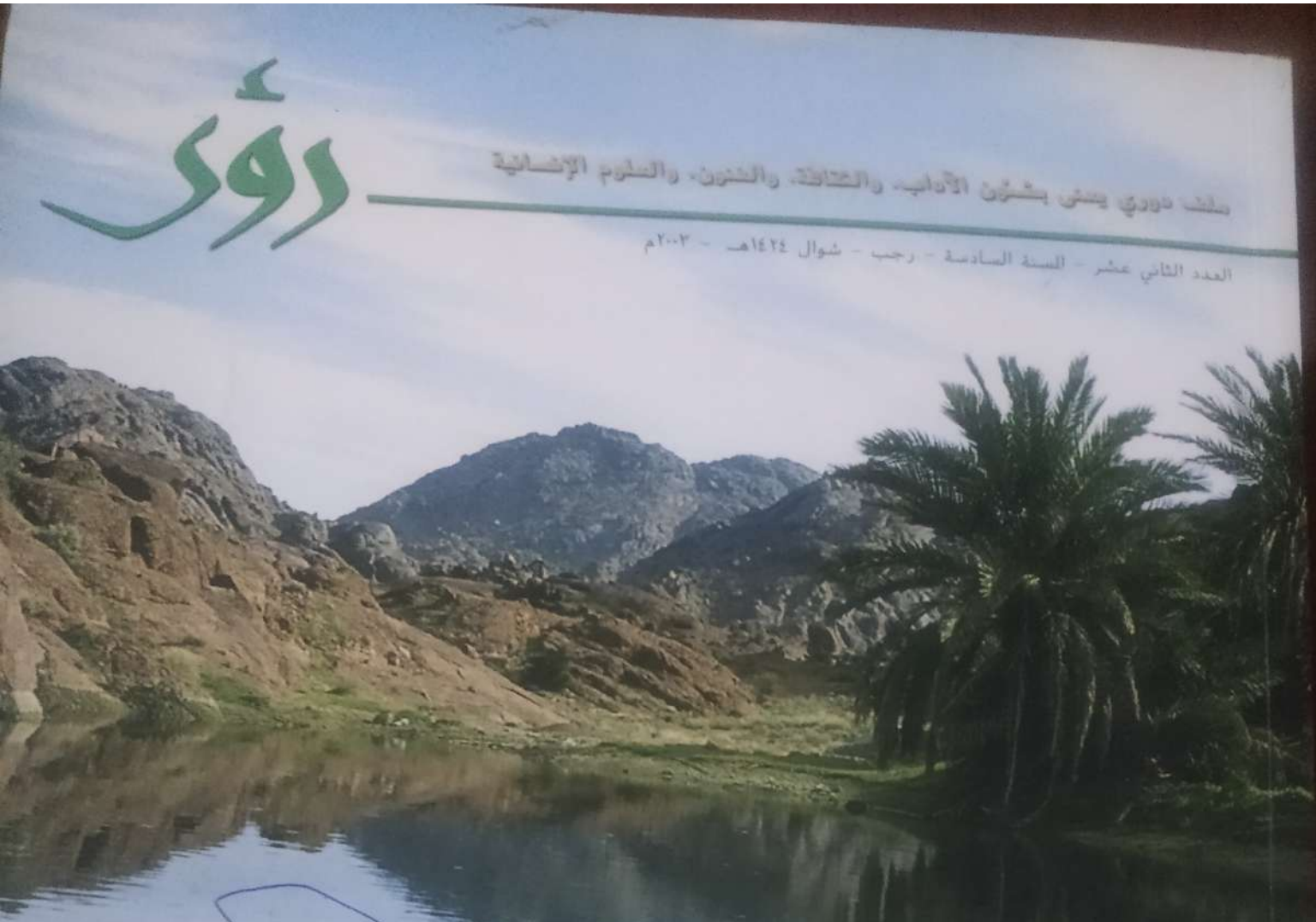

منطقة حائل بانوراما المكان والسكان

- لقاء مع سمو صاحب السمو الملكي نائب أمير منطقة حائل
- الهيئة العليا لتطوير منطقة حائل ... حائل الواقع والطموحات
- مظاهر الكتابة والنصية في مقامات الحريري

المملكة العربية السعودية
وزارة الثقافة والإعلام
النادي الأدبي بمنطقة حائل

رؤى

العدد الثاني عشر - السنة السادسة - رجب - شوال ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م

المراسلات على العنوان التالي
المملكة العربية السعودية
حائل - النادي الأدبي - ص.ب ٢٨٦٥
هاتف ٥٤٣٦٤١٨
فاكس ٥٤٣٠٩٤٤
www.adabihail.gov.sa
adabihail@i12.com

ملف دورية يصدره النادي الأدبي بمنطقة حائل يعنى بشؤون الأدب والثقافة والفنون والعلوم الإنسانية

رئيس النادي
د. رشيد بن فهد العمرو
نائب رئيس النادي
د. عبد الرحمن الفريح
رئيس التحرير
إبراهيم العيد
مدير التحرير
رشود التميمي
سكرتير التحرير
محمد الشيخ
الهيئة الاستشارية
د. رشيد بن فهد العمرو
د. عبد الرحمن الفريح
د. محمد صالح الشنطي
د. عثمان العامر
الأستاذ عبد الحفيظ الشمري
الرسوم الداخلية بريشة
خلود آل سالم
فهمية الموسى

ثمن النسخة
المملكة العربية السعودية ٢٠ ريال - سلطنة عمان ٥ ريالات
البحرين ١ دينار - الإمارات العربية المتحدة ١٠ دراهم - الكويت
٥٠٠ فلس - المملكة الأردنية ١ دينار - جمهورية مصر العربية ٣
ليبيا - الجمهورية العربية السورية ٥٠ ليرة - الجمهورية
اليمنية ١ دينار - المملكة المغربية ١٠ دراهم - لبنان ٥٠٠ ليرة

Abdel Media International عبدلي ميديا

التصميم والتنفيذ
عبدلي ميديا الدولية
هاتف ٢١٥٣٧١١ فاكس ٢١٥٣٩٢١
abdelmedia@awalnet.net.sa

ترتيب المقالات داخل العدد يخضع لاعتبارات فنية
ما في هذه المطبوعة لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر النادي بل يعبر عن وجهة نظر كتابها - لذا لزم التنويه

قراءات

١١٨ مشكلات في الثقافة — تأليف: علي عقلة عرسان عرض: جاك صبري شماس

١٢٠ العمى: الكشف... التعرف — تأليف: فدوى مالطي دوجلاس

قراءة في الجزء الأول من أيام طه حسين — ترجمة: د. مصطفى عبد السلام

١٢٦ القدس في أعمال الكاريكاتوريين العرب — عرض: عبد الحميد عزي بن حسين

مقالات

١٣٠ من حيث أدري ولا أدري — جار الله الحميد

١٣٢ النثر الغنى: هل عرفناه قبل الإسلام؟.. إطلالة أدبية — يسري عبد الغني

١٣٤ المرأة في القصيدة العربية — مفرح غاطي الرشيدي

١٣٦ وقفة مع مكتبة — د. هند آل عروان

١٣٧ صحافة الألفية الثالثة — ناهد سعيد باشطح

فنون

١٤٠ الديانات السماوية الثلاث وتشخيص الشكل الحي — أحمد إبراهيم أحمد

لقاءات

١٤٨ حوار مع البروفيسور لي تشين تشونج الحاج علي — د. محمد عبد الرحمن يونس

منتديات

١٥٤ الإسلام والغرب: صراع حضارات أم حوار حضارات؟ — شتيوي عزام الغيثي

إلى اللقاء

١٦٠ المثقف (سوبر ستار) خارج الخدمة !! — محمد بن عيسى الكنعان

...

حوار مع الأستاذ الدكتور لي تشين تشونغ الحاج علي

د. محمد عبد الرحمن يونس

حوار مع الأستاذ الدكتور لي تشين تشونغ الحاج علي

Li zhen zhong
الأستاذ بجامعة اللغات والثقافة ببكين
أجراه الدكتور محمد عبد الرحمن يونس في بكين

الأستاذ الدكتور لي تشين تشونغ (الحاج علي) علم من أعلام الفكر والثقافة والترجمة في الصين المعاصرة، أحبّ اللغة العربية، بنثرها وشعرها، وتاريخها وفلسفتها، فدرسها واتقنها إتقانا جيدا مثل أبنائها العرب، وحصل في آدابها على شهادة الدكتوراه، تعمّق في دراسة التاريخ العربي الإسلامي، والفلسفة العربية الإسلامية، ثمّ أشهر إسلامه، وحجّ إلى بيت الله الحرام، وأطلق على نفسه (الحاج علي)، وهو معروف بين جميع العلماء المسلمين في الصين بهذا الاسم.

عمل أستاذا لمادة اللغة الصينية في عدة جامعات صينية وأجنبية تدرّس اللغة الصينية، كما عمل أستاذا لمادة اللغة العربية في جامعة اللغات والثقافة في بكين، وفي جامعة بكين- كلية الدراسات الشرقية.

يتحدّث اللغة العربية بفصاحة واضحة، ويتقنها بحثا وتأليفا وترجمة، وقد قدّم إلى المكتبة العربية والصينية أكثر من ثلاثين كتابا مطبوعا تتحدّث عن آداب العرب وحضارتهم وفلسفتهم وتاريخهم، وهو من أوائل المترجمين الصينيين الذين ترجموا أعمال نجيب محفوظ إلى اللغة الصينية. وقد عرّفني به السيد خليل لوه لين، أحد طلابي وأصدقائي في شعبة الماجستير في جامعة الدراسات الأجنبية في بكين، الذي أصبح الآن، بعد أن حصل على الماجستير، محاضرا في جامعة اللغات والثقافة في بكين.

وقد دعاني الدكتور لي تشين تشونغ إلى منزله بصحبة السيد خليل، واستقبلنا بمودة كبيرة، وبأدب جمّ، وبتهذيب عال، وفرد أمامي أوراقه ومؤلفاته، وأجريت معه الحوار الآتي:

س: دعني أسألك أولا عن بداية الصلات التجارية بين الصين والعالم العربي، وبخاصّة بعد دخول الإسلام إلى الصين.

ج: يعدّ اليوم الثاني من شهر محرم سنة ٣١هـ (٦٥١م)، في عهد الخليفة عثمان بن عفّان أول تاريخ صيني رسمي للاتصالات الصينية العربية الإسلامية على مستوى السفراء، وهو يعدّ أيضاً تاريخ دخول الإسلام إلى الصين في نظر الصينيين المسلمين، تبعت ذلك بعثات عربية حتى بلغت ٣٩ بعثة ابتداءً من سنة ٦٣١م وحتى سنة ٧٩٨م استناداً إلى السّجلات الصينية الرسمية. «الإسلام والحضارة الصينية، تأليف محمد يانغ هواي جونغ وعلي يوي تشن قون، دار نشر شعب نينغشيا، ١٩٩٥م، ص ٥٢».

وهو إحصاء غير كامل بطبيعة الحال. ونجد أنّ نشاطات التجار العرب والرحالة المسلمين كانت ترافق هذه البعثات، ولكننا لن نجد هذه النشاطات نفسها من البعثات العربية الرسمية إلى الصين مدوّنة في السجلات العربية الرسمية أو الكتب العربية القديمة، فأغلب الظنّ أنّ كثيراً من هذه البعثات كانت لسفراء شعبيين من التجار العرب الذين يقدّمون الهدايا إلى أباطرة الصين باسم الخلفاء العرب ويسجلون ذلك في الكتابات الصينية الرسمية. وكان أباطرة الصين، بطبيعة الحال، يردونها بهدايا أكثر وأثمن إلى جانب الضيافة الكريمة والحفاوة البالغة.

وورد في كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي أنّه «عندما توفي يزدجرد، آخر ملوك آل ساسان في فارس، استنجد ابنه فيروز بالصين لتنصره على العرب الغزاة. غير أنّ إمبراطور الصين أجاب بأنّ بلاد فارس من بعد الشقة وطول المسافة بحيث لا يستطيع أن يرسل إليه الجيوش المطلوبة. ولكن قيل إنّه بعث إلى البلاط العربي سفيراً يدافع عن قضية الأمير الهارب. ومن المحتمل أيضاً أن يكون الإمبراطور قد أوصى سفيره بأن يتبين مدى الاتساع والقوة في الدولة الجديدة التي كانت قد نشأت في بلاد العرب. وقيل إنّ عثمان بن عفّان أرسل أحد القوّاد العرب ليرافق السفير الصيني في عودته فأكرم الإمبراطور وفادة أول سفير من المسلمين بعث إليه.»

من ثمّة آراء تؤكّد ان الكونفوشيوسية هي دعامة رئيسيةٌ من دعائم الثقافة الصينية التقليدية، ولا تزال تؤثر في بعض شرائح المجتمع الصيني المعاصر. ما هي خصائص الكونفوشيوسية وأهدافها ورؤيتها السياسية، ونظرتها للإنسان والمجتمع والكون.

ج: يمكن القول إنّ الكونفوشيوسية هي فلسفة أخلاقية. وجوهرها سلوكيات الإنسان، وأساسها التهذيب الذاتي والرياضة النفسية والحاسبة الذاتية، وحسن إدارة شؤون العائلة، وحسن إدارة شؤون الدولة وشؤون البلاد. أمّا فضائل الأخلاق عند كونفوشيوس فهي: الإخلاص والبرّ بالوالدين والصداقة والأدب والتسامح. ووضع الخط المميز بين فئات المجتمع والذي يحدد لكلّ فئة ما لها وما عليها من فضائل الأخلاقيات والسلوكيات.

والكونفوشيوسية هي فلسفة تربوية جوهرها أنّ التربية هي الوسيلة الوحيدة لتقويم سلوكيات الإنسان سواء وُلِدَ خيّراً أو وُلِدَ شريراً. ولذلك فقد كان كونفوشيوس يقبل الطلبة من أبناء فئات المجتمع كلها ليعلّمهم دون التمييز بينهم. وقد فتح بذلك أبواب المدارس لأبناء الشعب لأول مرّة في تاريخ الصين بعد أن كانت مقصورة على أبناء الأمراء والنبلاء. وكان كونفوشيوس يهتّم بالدراسات الأخلاقية قبل الدراسات العلميّة الثقافية. هذه الدراسات الأخلاقية تتمثّل في الكتب الخمسة التي وضعها وهي: التاريخ، والشعر، والتغييرات، والحوليات، والشعائر. وكذلك كان يهتم بتدريب الطلبة على الفنون العملية مثل ضرب الآلات الموسيقية والرماية والحساب والفروسية. وقد زاد عدد تلامذته في عصره، حتى قيل إنّه بلغ ثلاثة آلاف طالب، وبرز منهم سبعون طالباً متفوقاً أطلق عليهم «النوابغ السبعين».

والكونفوشيوسية هي فلسفة سياسية، وأساسها نظام الطبقات، وتحديد العلاقات الاجتماعية على أساس الطبقات مثل علاقة الملك بالوزير، وعلاقة الأب بالابن، وعلاقة الزوج بالزوجة، مع بيان الحقوق والالتزامات لكلّ طرف من الأطراف في العلاقات الاجتماعية، وأهمّ هذه الالتزامات هي المحبة والاحترام والتسامح. ويرى كونفوشيوس أنّ الشعب هو أساس الدولة وقوامها، وأنّ البلاد هي الشعب، وأنّ الحكم يكون بالأخلاق والمحبّة أولاً، ثمّ بالعدل والقانون ثانياً. أمّا طريق تقوية أركان الدولة فهي إثراء الشعب، وطريق إثراء الشعب هي الإنتاج، وطريق تقويم الشعب بعد إثرائه هي التربية والتعليم.

إنّ الكونفوشيوسية هي مذهب فكري وثقافي وليست عقيدة دينية. وكونفيشيوس هو مفكّر وحكيم، وليس رسولاً أو نبياً، إذ إنّه لم يتحدث عن الوحي والنبوّة، ولم يتحدث عن الخلق والكون أو الآلهة، أو ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)، ولم يكن يحبّ الحديث عن الموت وما بعد الموت (الآخرة) (كتاب الحوار٧ / ٢١). وقد «سأل جي لو عن خدمة أرواح الموتى، فقال الأستاذ: «لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات؟ » قال جي لو: «أسأل حضرتك متجرئاً عن الممات؟ » قال الأستاذ: «لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات؟ » (كتاب الحوار ١٢/١١).

س: أرجو أن تحدّث القارئ العربي عن أهمّ مظاهر النشاطات التجارية للعرب القادمين إلى الصين بعد دخول الإسلام إليها، وعن امتزاج التجار العرب بالمجتمع الصيني ودورهم في تعزيز العلاقات الصينية العربية من خلال نشاطهم التجاري، وذلك من خلال ما دوّنته المصادر التاريخية. وهل أسهم هؤلاء التجار العرب في نشر الإسلام في الصين؟ وكم كان عدد هؤلاء التجار وأبنائهم وفق الإحصائيات الصينية الرسمية؟

ج: من المؤكّد أنّ الإسلام دخل الصين عن الطريق التجاري لا عن طريق الغزو العسكري. ونجد أخباراً كثيرة عن النشاطات التجارية العربية في الكتب الصينية القديمة إلى جانب القصص والروايات، بالإضافة إلى الأخبار الواردة في الكتب التاريخية والجغرافية وكتب الرحلات العربية. ويمكن أن نذكر بعضاً منها:

١- جاء في كتاب عِبَر التاريخ، ما مفاده أنّه في سنة ٧٨٨م نزل عدد كبير من الأجانب في قصر ضيافة الإمبراطور. وطالت إقامتهم، وعجزوا عن العودة إلى ديارهم بسبب إغلاق الطريق التجاري البري بعد غزو قبائل التيبيت واحتلالها لهذا الطريق، فمكث بعضهم أربعين عاماً، وكثير منهم تزوّجوا وملكوا بيوتاً وعقارات، وعند ذلك أصدر الوزير لي (Li MI)، ٧٢٢ - ٧٨٩م تعليماته بإحصاء عددهم والتحقيق في حالاتهم، فجاءت النتيجة أنّ عددهم بلغ أربعة آلاف شخص أكثرهم من التجار العرب والفرس، فأصدر الوزير تعليماته بنقل من لهم بيوت خارج قصر الضيافة، وتعيين وظائف لمن ليس لهم بيوت في الجيش الصيني، قصور الأمراء أو مجندين في الجيش الصيني.

ولم يبق في قصر الضيافة إلاّ بضعة عشر فقط، وتمّ - تأسيساً على نقلهم خارج قصر الضيافة - توفير نصف مليون مين[٠] من نفقات الضيافة سنوياً».

٢- وجاء في كتاب تانغ القديم (Ju Tang Shu)، الجزء ١٣١، وفي سيرة الحاكم لي ميان (Li Mian)، أنّ السيد لي ميان كان حاكماً نزيهاً على كانتون وجنوب الصين، وعندما عُيّن حاكماً كانت السفن التجاريّة القادمة من البحر لا تزيد عن خمسين سفينة سنوياً.

وفي آخر سنة من حكمه زادت إلى أربعة آلاف سفينة بحرية سنوياً- وبطبيعة الحال فيها سفن عربية - لأنّه كان لا يفرض الضريبة والتفتيش عليها، وكان تعيينه في سنة ٧٧٠م». ٣- وجاء في كتاب تانغ الجديد (Xin Tang hu) وفي الجزء ١٤٤)، وفي سيرة تيان تشين قونغ (Tian shen Gong) . أنّه في سنة ٧٥٦م، وعندما قامت الفتنة في مدينة يانغ تشو (yang Zhou) قُتل كثير من الأهالي بينهم التجار الفرس والعرب، وبلغ عدد القتلى منهم عدة آلاف.

وهذا يدلّ على أنّ الجاليات التجاريّة العربية في المدينة كانت كثيرة العدد.

٤- وذكر سليمان التاجر في كتاب «سلسلة التواريخ» أنّ مدينة كانتون مدينة تجارية مزدهرة، وفيها تجمّعات ضخمة من التجار العرب، وكانت حكومة الصين تفرض على الجاليات في هذه المدينة دفع الجزية، ولذلك يمكن معرفة عددهم الصحيح الذي بلغ مائة وعشرين ألفاً من المسلمين واليهود والنصارى.

٥- وذكر المؤرخ العربي علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٩٥٦ م في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر أنّ قائد الثوّار الصينيين هوانغ تساو (Huang Chao) عندما دخل مدينة كانتون سنة ٨٧٩م أباح المدينة، فبلغ عدد الضحايا من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس مائتي ألف ضحية.

إن هذه الروايات لا تخلو من المبالغة، و لكنها تعطينا فكرة عن العدد الكبير للتجار العرب في الصين زمن حكم سلالة تانغ (٦١٨-٩٠٧م)، ومع مرور الزمن صار هذا العدد يزداد باطراد.

التجار العرب الذين [illegible] وتمتعوا بشهرة واسعة في بلاد الصين، حتى أنّ ثرواتهم الضخمة أسهمت في تعيينهم في مناصب حكومية مرموقة. وتسجّل الكتب الصينية الرسمية بعضاً من أخبار هؤلاء التجار، ومنهم:

١- البوشيمي:

وقد برز في عهد الإمبراطور الصيني تاي تسونغ (Tai Zhong)، ٩٧٦- ٩٩٣م)، من سلالة سونغ الملكيّة (٩٦٠- ١٣٧٩م)، وقد قدّم هذا التاجر البوشيمي إلى الإمبراطور تاي تسونغ خمسين ناباً كاملاً من العاج وأربعمائة كيلو جراماً من السبائك (الفضة والنحاس). وفي سنة ٩٩٥م قدّم ابنه إلى إمبراطور الصين هدايا قيّمة تفوق هدايا أبيه.

إنّ هذه الهدايا الثمينة تكشف لنا مدى ثراء البوشيمي وابنه، وتوسّع نشاطهما التجاري.

٢- السنغاتور:

وهو من أصل عماني ومن صحار، وقد أقام في مدينة كانتون الصينيّة عشرات السنين وقد بلغت ثروته عدة ملايين مين.

٣- البوياري:

وصل إلى الصين قبل سنة ١١٣١م، وتزوّج إحدى أخوات حاكم الإقليم الصيني، وجاء في أحد التقارير الرسمية أنّه أحضر ذات مرّة (٢٠٩) ناب كامل من العاج و٣٥ قرناً من وحيد القرن (الكركدن)، ويزيد وزن كل ناب من العاج عن ثلاثين كيلو غراماً، وقدّمها إلى الإمبراطور، فاختار الإمبراطور منها (١٠٠) ناب، و (٢٥) قرناً لاستخدامات القصر الإمبراطوري.

وكان التجار العرب يحتلون الترتيب الأول من بين التجّار الأجانب في الصين من حيث حجم الثروة. وكان أباطرة الصين يعينونهم في المناصب الهامّة وذلك لجلب الاستثمارات الأجنبية إلى الصين. وحسب السجلات الصينية الرسمية فإنّه من سنة ٩٦٨م إلى سنة ١١٦٨م، قدّم العرب الهدايا إلى أباطرة الصين تسعاً وأربعين مرّة، بينها مرّتان باسم الخليفة، ومرّة واحدة باسم الأمير، والبقية من التجار أنفسهم الذين كانوا يستفيدون لقاء تقديمهم هذه الهدايا، إذ إنّ أباطرة

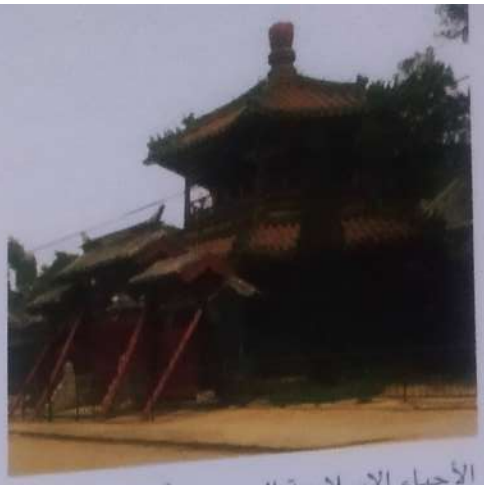

الأحياء الإسلامية العديدة، أمّا أقدم المساجد الإسلامية التي بنيت في الصين فهي:

مسجد هواي تشينغ (الشوق إلى النبي) في قوانغتشو، ومسجد شينغ جينغ (الصفاء والنظافة) في تشيوا نتشو، ومسجد شيان خه (كركي ملاك) في يانغتشو، ومسجد جين جياو (الدين الحنيف) في هانغتشو.

وكان المسلمون في الصين يتكلمون اللغة العربية في منازلهم وحين أداء الفرائض الدينية، وكانوا يتحدّثون اللغة الصينية في الأسواق، أمّا أولادهم فكانوا يدرسون اللغة العربية وعلومها في المنازل، ويدرسون اللغة الصينية وعلومها في المدارس، وأصبحوا هم الأوائل الذين مزجوا الثقافتين العربية والصينية دون تخطيط مسبق منهم، وتوسّعت هذه الظاهرة توسّعاً كبيراً بعد غزو المغول للعالم، وجلوسهم على عرش الصين.

س: هل شهدت العلاقات الصينية العربية، وعبر تاريخها الطويل، حوادث صراعات وحروب نشأت بين الصين والعرب؟ أرجو أن تذكر أهم هذه الحوادث.

ج: جاء في كتاب تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن إبراهيم حسن مايلي: «في عهد الوليد بن عبد الملك نجد القائد العربي المشهور قتيبة بن مسلم لا يكتفي بما فتحه من بلاد ما وراء النهر، بل يمضي قدماً في سنة ٩٦هـ إلى حدود الصين على رأس جيش كثيف. وبينما هو في طريقه إليها جاءه نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك، فلم يثنه ذلك عن مواصلة الغزو، بل تابع سيره حتى قرب من الصين، فارسل إلى ملكها وفداً برئاسة هبيرة بن المشمرج الكلابي. وبعد أن دارت بينه وبينهم عدّة مراسلات قال ملك الصين موجّهاً كلامه إليهم: «انصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف، فإني قد عرفت حرصه وقلّة أصحابه، وإلاّ أبعث عليكم من يهلككم ويهلكه». فقال له هبيرة: «كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟ وأمّا تخويفك إيانا بالقتل فإنّ لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل، فلسنا نكرهه ولا نخافه».

فأجابه ملك الصين: فما الذي يرضي صاحبك؟ فقال هبيرة: «إنّه قد حلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويُعطى الجزية». فقال الملك: هاتنا نخرجه من يمينه: نبعث إليه بجزية يرضاها. ثمّ دعا بصحاف من ذهب فيها تراب، وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم. ثم أجاز الوفد فساروا حتى قدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردّهم ووطئ التراب ثمّ عاد إلى مرو.

وجاء في كتاب عبر التاريخ (Tong lian) وفي الجزء ٢١١، أنّ إمارة فرغانة، هي إحدى الإمارات في آسيا الوسطى، كانت تحت حماية الصين، وفي سنة٧١٥م عزتها قبائل من التيبت بتأييد من الجيوش العربية، فالتجأ أميرها إلى القائد العسكري الصيني الكبير في المنطقة الحدودية واسمه تشانغ شياو سونغ (Zhang xiao song)، فارسل هذا القائد جيشه وهزم القبائل الغازية والجيش العربي، وعاد الأمير إلى عرشه في فرغانة، واستقرت الأمور في الإقليم لفترة طويلة.

وجاء في المصدر نفسه أنّه في سنة ٧١٧م، كانت قبائل التتار (الأتراك) تتعاون مع قبائل التيبت والعرب لغزو المدن الصينية على الحدود، فما كان من القائد الصيني المرابط في الحدود إلاّ أن أرسل جنود القبائل الموالية للصين إلى قبائل التتار والتيبت والعرب لصدّ عدوانهم.

أمّا الصدام العسكري الكبير بين العرب والصينيين، فقد تجسّد في معركة طلس (Talass) أو جمبول (Dzhambul)، التي حدثت بين الصينيين والعرب سنة ٧٥١م في إقليم طلس الواقع بين طشقند وبحيرة بلكاش

وإقليم (ما آنا) في آسيا الوسطى (جمبول في كازاخستان حالياً). فقد جاء في «كتاب تانغ الجديد»، وفي الجزء الخامس، سيرة الإمبراطور شوان زونغ (xuan zon)، ٧١٢ ـ ٧٥٦ على العرش)، أنّه في يوليو سنة ٧٥١م، تقاتل جيش القائد العسكري قاو شيان تشي (GAO xian zhi)، ت ٧٥٥م، وجيش العرب في طلس وهُزم جيش قاو.

وجاء في كتاب تانغ الجديد الجزء ١٣٥- سيرة القائد قاو شان تشي، ما مفاده أنّ القائد قاو شيان تشي ضرب إحدى إمارات إقليم طشقند، وأسر أميرها وقتله، فالتجأ ابن الأمير المقتول إلى قائد الجيش العربي وزعماء الإمارات الأخرى، وحدثت معركة بين الجيشين الصيني والعربي في إقليم طلس وهُزم فيها الجيش الصيني بسبب خيانة القبائل الموالية له، وأخذ الأمير الابن ثأر أبيه المقتول وعاد واعتلى العرش، وقد أسر العرب والمسلمون عدداً كبيراً من الجنود الصينيين في هذه المعركة، وتتضارب الأخبار في إحصاء عددهم، فقيل إنّه بلغ عشرين ألفاً، وقيل إنّه بلغ خمسين ألفاً، وذكر ابن الأثير أنّه بلغ مائة ألف.

إنّ معركة طلس هي التصادم العسكري الكبير الوحيد في العلاقات الصينية العربية عبر التاريخ.

س: في حوار لي مع الأستاذ الدكتور شريف شي سي تونغ الأستاذ بجامعة الدراسات الأجنبية في بكين ذكر لي أنّ طريقة نقل صناعة الورق من الصين إلى البلاد العربية لم تتمّ إلاّ بعد أن حدثت معركة طلس في عام ٧٥١م. أرجو أن تتحدث عن ذلك، وهل أسهمت هذه المعركة في ما بعد في زيادة معرفة الصينيين بحياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم؟ وهل أسهمت في تقليص العلاقات الصينية العربية وتنعمها؟

ج: نعم، لقد انتقلت صناعة الورق بعد معركة طلس من الصين إلى آسيا الوسطى ثمّ منها إلى ما بين النهرين ثمّ إلى قارة أوروبا، وكان بين الأسرى الصينيين الذين أسروهم العرب في هذه المعركة مثقّفون وحرفيون وفنيون، ولقد استفاد منهم العرب، إذ أقاموا بخبرات هؤلاء الأسرى ورشة لصناعة الورق في سمرقند، لقيت ترحيباً كبيراً، وأحدثت ثورة في عالم الكتابة والتدوين، وبعد ذلك انتشرت صناعة الورق في البلاد العربية والأوروبية، وكان لها أثر كبير في الثقافة العالمية، وكان من الأسرى الصينيين رسّامون ونساجون وسبّاكون أفادوا بلاد العرب كثيراً بكفاءاتهم الفنيّة، كما ذكر دو هوان في كتابه: «مشاهدات في الرحلات». وقد أسهمت هذه المعركة فيما بعد في إطلاع الصينيين على أحوال العرب ومعرفة تقاليدهم، من خلال ما سجّله بعض الأسرى الصينيين في مذكراتهم، ونتيجة لهذه المعركة ظهرت لأول مرّة كتابات صينية تتحدّث بالتفصيل عن أحوال البلاد العربية والدين الإسلامي وحياة المسلمين.

وكان بين الأسرى مثقف صيني كبير اسمه دو هوان (Du Huan)، وقد مكث هذا المثقف الأسير في البلاد العربية اثنتي عشرة سنة، تجوّل خلالها في أقاليم آسيا الوسطى والعراق والجزيرة العربية، وعاد إلى الصين سنة ٧٦٣م، عن طريق البحر من الخليج العربي إلى مدينة كانتون في الصين، وكتب بعد عودته كتاباً بعنوان:

مشاهدات في الرحلات (Jing Xing Ji)، وهو كتاب جغرافي ذكر فيه مؤلفه دو هوان أسماء البلدان العربية وأوصافها ومواقعها، وجبالها، والأنهار فيها، وحياة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم. وقد ضاع هذا الكتاب الأصلي، ولكننا نجد مقتطفات منه في كتاب بعنوان:

كتاب المراسيم في التاريخ (Tong Dian)، الذي ألّفه عمه دو يو- عمّ دو هوان - (Do You)، ٧٣٥- ٨١٢م، الذي كان يعمل كاتباً في بلاط إمبراطور الصين، وقد نقل هذا العمّ كثيراً من كتاب: مشاهدات في الرحلات، إلى كتابه: كتاب المراسيم في التاريخ الذي بلغ ١٥١١٠ كلمة صينية.

هذا وقد سجل دو هوان مشاهداته في البلاد العربية والإسلامية بكلّ دقة وصدق، وهي معلومات أساسية وصحيحة، ولا يزال معمولاً بها في البلاد الإسلامية حتى اليوم كالصلوات الخمس يومياً، وصلاة الجمعة وخطبة الإمام في هذه الصلاة، وتحريم لحم الخنزير والخمور وعقوبات المجرمين.

ويعدّ كتاب مشاهدات في الرحلات أول كتاب صيني يتحدّث عن الإسلام والمسلمين، حتى أننا لا نجد كتاباً آخر مثله بهذه الدقة والأمانة في عصر هذا الكاتب (عصر سلالة تانغ، ٦١٨م- ٩٠٧م)، والعصور التي أتت بعد عصره: عصر سلالة سونغ (٩٦٠- ١٢٧٩م)، إلى عصر سلالة يوان (المغول، ١٢٠٦- ١٣٦٨م).

وفيما بعد صارت مقتطفات هذا الكتاب مصدراً هاماً لدراسات تاريخ الإسلام في الصين لما فيها من معلومات دقيقة عن حياة العرب والمسلمين وعاداتهم وتقاليدهم.

إنّ هذا التصادم الصيني العربي في معركة طلس لم يؤثّر على مسيرة العلاقات بين الطرفين، ولم يُضعفها، إذ لم يحاول الطرف الصيني الانتقام والأخذ بثأره من العرب، ولم يحاول الطرف العربي استغلال فرصة النصر ليتوغّل إلى داخل الحدود الصينية، وربما كانت الخلافات على السلطة، والفتن الداخلية لدى كلّ منهما هي السبب في ذلك، إذ نجد بعد ذلك وبسنوات قليلة أنّ الخليفة العباسي (قيل هو أبو جعفر المنصور، ٧٥٤-٧٧٥ م على العرش)، أرسل جيشه لنجدة إمبراطور الصين سوزونغ (Su Zwong، ٧٥٦-٧٦١ على العرش)، حين قامت الفتنة الداخلية في الصين سنة ٧٥٥م، والتي كادت تسقط حكمه، عندما طلب المساعدة من المسلمين لضرب الثوار على نظام حكمه.

ويشير الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه «تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي» إلى أنّ التواريخ الصينية تذكر «أنّ هشام بن عبد الملك أرسل سفيراً يُدعى سليمان إلى الإمبراطور هزوان تسنج (Hswan Tsang) وقد اكتسبت هذه العلاقات السياسية التي قامت بين الدولتين العربية والصينية أهمية جديدة في أواخر عهد هذا الإمبراطور حين طرده أحد الغاصبين عن عرشه، فتنحّى عنه لابنه سوتسنج (Su Tsung)، فطلب هذا الأخير النجدة من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، فأرسل إليه قوة من الجيوش العربية التي ساعدته على استرداد ملكه، ولم ترجع هذه القوة العربية إلى بلادها بل تزوجت من أهلها (أي أهل الصين) واستقرّت في الصين». ■